الكتب

مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام

تأليف الأستاذ محمد عبد الله عنان

[الطبعة الثانية] نقحت وحققت وضمت اليها بحوث جديدة

لئن كان لهذا القلم الضعيف أن يطمح الى ما هو أبعد من غايته ، فان مما يبهج نفسى أن أتحدث عن هذا الكتاب القيم ، وقصارای أن أتم هذا الحديث على خير ما أرجو من دقة ، وعلى أحسن ما أحب من انصاف .

الكتاب كما يتضح من عنوانه ، يصور لك أدوار ذلك الصراع العظيم الذى قام بين الاسلام والنصرانية منذ أن وثب العرب من صحرائهم ، وأتخنوا فى أراضى الدولتين الفارسية والرومانية ، والذى تجلى فى عدة مواقف مشهودة كحصار العرب للقسطنطينية ولقائهم أعداءهم فى الغرب فى موقعة بلاط الشهداء ، ثم ما كان من بسط العرب سيادتهم على البحر الأبيض المتوسط واحتلالهم اقريطش ، وصقلية ، وروما ، وجنوب ايطاليا ، الى أن تطور هذا النزاع الى دور الحروب الصليبية وما تخللها من لقاءات هائلة بين قوى الاسلام والنصرانية ، وأخيراً ما كان من أمر العرب فى الأندلس ، وتقوض دعائم ملكهم العريض هناك .

وتلك المواقف الحاسمة التى يتخذ منها المؤلف الفاضل عنواناً لكتابه هى فى الواقع موضوع واحد ، فهو وان اختلفت مظاهره وتعددت ميادينه ، وتسلسلت عصوره ، لا يخرج فى جوهره عن الصراع بين الاسلام والنصرانية ، ولقد أعجبنى من المؤلف تنبيهه الأذهان الى ذلك فى مواطن كثيرة .

ولقد صور الأستاذ للمؤلف كل هاتيك المواقف تصويراً دقيقاً رائعاً ، مبيناً أثرها فى مصاير كل من الطرفين فى وضوح يؤيد ما اشتهر به من بسطة فى فنه ، وسعة فى اطلاعه ، والمام عجيب بالمواضيع التى يطرقها ؛ ولقد أضاف الى تلك المواقف طائفة من الفصول سماها « بحوثاً مفردة » والواقع أنها ليست مفردة ، وأن اتصالها بالموضوع وثيق ، بل انها لتعد ضرورية له ، ومن أمثلة تلك البحوث الهامة « الدبلوماسية فى الاسلام » و« الفروسية » و« الرق فى العصور الوسطى » وغيرها مما يلقى ضوءاً على الموضوع الأصلى ؛ ولا يفوتنا أن نذكر مع مزيد الاعجاب أن المؤلف مهد لكتابه بفصلين فى غاية الأهمية هما « وثبة العرب » و « سياسة العرب الدينية » ؛ فأرانا فى الفصل الأول ، فى تعمق ودقة وقوة بيان ، تلك الروح التى سيطرت على العرب فى جزيرتهم ، وأرانا فى الفصل الثانى ، روح الاسلام فى معاملة الأمم التى كانت تدخل فى حوزته مورداً فى ذلك كثيراً من الأمثلة والاقتباسات ، شارحاً الأحوال الاجتماعية والسياسية التى كانت تسود ذلك العصر .

فأنت ترى من هذا الوصف الموجز أن الكتاب يجمع بين الفائدة واللذة ، أو بعبارة أخرى فهو للثقافة والاستمتاع .

أما طريقة الأستاذ فى كتابة التاريخ فجديرة بالاعجاب حقا ، فهو لن يسرد عليك الحوادث سرداً مملا ، بل ترى له طريقة انقادت له وسهلت فى يديه وأصبحت وقفاً عليه ، طريقة طالما

هرول الى الجنينة مسرعاً ، فلما دنا من الطفل صعد الدم الى وجهه ، واحمرت عيناه غضباً ، إذ رأى راحة الطفل دامية « من تجاسر أن يجرحك ؟ اخبرنى لكى أذبحه بسيفى الكبير . »

فأجابه الطفل « لا . هذه جراح الحب ! » فاستولى على المارد خوف غريب ، ثم جثا أمام الطفل قائلاً : « من أنت ؟ » فأجابه الطفل مبتسما :

« سمحت لى أن ألعب مرة فى جنينتك ، والآن ستذهب معى الى جنينتى التى هى الفردوس » تراكض الأطفال بعد الظهر كعادتهم فوجدوا المارد الميت تحت الشجرة مكفناً بالزهور البيضاء .

نابلس عبد القادر صالح

تطلعنا الى وجودها فى كتابة التاريخ باللغة العربية ، فهو يحلل ويدقق ، ويمحص الحوادث فى نظام علمى دقيق ، دون أن يملك أو يطوح بك فى مجاهل مطموسة الصوى ، جائرة السبل ، وإنك لتحس شخصيته فى كل عبارة من عباراته ، لأنه يفرغ على القرطاس صور ذهنه ، وحماس قلبه ، كما أنك تلمس آثار جهوده فى كل فقرة من فقراته ، فتراه يعرض عليك الروايات المختلفة ، والآراء المتنوعة ، ثم يقف منها موقف الناقد الذى يمكنه من الحكم والفصل ، ذاكرة قوية ، وقراءة واسعة ، وصبر شديد ؛ ولن تراه يتهرب من نقطة أو يتحيز الى رأى ؛ كل ذلك فى فطنة ونفاذ بصيرة ، فاذا أضفت الى هذا أن الأستاذ عنانا مشغوف بموضوعات التاريخ الاسلامى ، وأنه لن يكتب إلا ما جاشت به نفسه ونبض به قلبه ، أمكنك أن تفهم الروح التى يكتب بها الأستاذ التاريخ ، والواقع أننا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا إن طريقة الأستاذ عنان فى كتابة التاريخ قد ثبتت عندنا ناحية من نواحى الحركة الفكرية ، كما أن الأستاذ نفسه قد صار ركنا وعلما نفاخر به أهل الغرب ، فطريقته العلمية الدقيقة فى كتابة التاريخ تضع آثاره فى صف مثيلتها فى لغة الغرب ، مما يعد مفخرة للعربية وأهلها .

وهناك ناحية أخرى فى كتابة الأستاذ عنان جديرة بالتنويه ، تلك هى أسلوبه ، فللأستاذ أسلوب خاص ، تحار إن أردت شرحه ؛ فعباراته قوية وسط بين المقبوضة والمبسوطة ، لا ترى فيها حشواً ولا تجد كلمة تستعمل فى غير موضعها ، أو تجد لفظاً يقصر عن أداء معنى ، أو يتسع حتى يطغى على ذلك المعنى فيضيعه ، كذلك لن تجد عبارة فاترة فى موقف حماسى ، أو جملة حماسية من غير داع ، هذا الى جمال ورونق فى غير تكلف أو إسفاف .

أما عن مظهر الكتاب وطبعه وترتيبه ، فحسبك منه أنه مطبوع فى مطبعة دار الكتب ، على ورق جيد من القطع الكبير ، ولقد ختمه المؤلف الفاضل بثبت للمراجع العربية والأفرنجية ، ثم بفهرس للأعلام التاريخية والجغرافية ومقابلها الأفرنجى ، ثم بفهرس عام للكتاب .

ونحن لا يسعنا إلا أن نتقدم بعظيم الشكر للأستاذ المؤلف على مجهوداته التى ترفع رأس العربية ، وتشرف أهل الضاد جميعا .

محمود الخفيف

فى مدينة بروسة

(بقية المنشور على صفحة ٩٦٤)

لا تقع عينى فى مجلسى هذا إلا على أكداس من العبر ، وأسطار من حظوظ البشر . وما أشق هذه النفوس التى لا تقلب بصرها فى هذا العالم الا لتقرأ ما وراء صوره من عظات وآلام ، يا لها ذكريات تجيش لها النفس ، وينطلق بها الفكر فى مسالك يعيا بها جهد المفكر .

لله بروسة الجميلة سهلها وجبلها ، ودورها وشجرها ، ولله فيها هذا التاريخ العظيم يملأ أرجاءها ، ولله هذه النفس ، كلما خلت وطلبت للفراغ مجلساً انهال عليها من العبر والفكر ما يكدرها ويحزنها ، وينفر بها عن الناس ، ويسمو بها فى معارج من الحقائق والخيال تلتبس فيها السعادة والشقاء .

أيها القلم حسبك ، فما يتركنى الناس أبلغ من خلوتى غايتها . فهاهم قد أقبلوا يتحدثون ، وهاهى أصوات الزرد تطير عنى أسراب الأفكار . وقديماً قال أبو العلاء :

حوربتُ فى كل مطلوب هممت به
حتى زهدتُ فما خُلّيت والزهدا

إيه ياروسة والدنيا غِير ، والدهر قُلّب ! ليت شعرى ، وأنا أحبك ، وأود لو انفسح الزمان للإقامة فيك أياماً ، لتبلغ النفس من جمالك وجلالك أمانيها — ليت شعرى أأراك مرة أخرى ، أم تلك جلسة التسليم والتوديع إلى الأبد ؟ ! . إنما العلم عند الله ، وما نحن إلا ظلال متنقلة ليس لها من الأمر شىء ما ؟

عبد الوهاب عزام

الرسالة فى شهور الصيف

تسهيلاً لوصول الرسالة الى قرائها مدة العطلة تقبل الادارة الاشتراك الشهرى بواقع أربعة قروش عن كل أربعة أعداد تدفع مقدماً